تلخيص شرح

شرح حديث أبي بكر الصديق
(اللهم إني ظلمت نفسي ظلما كثيرا)
للإمام ابن تيمية



شرح

أ/ حسين عبد الرازق

تلخيص

أ/ عاصم فتح الله

- المحاضرة الأولى -

"شرح حديث أبي بكر الصديق"

"اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا"

من أهم مهمات طلب العلم هو إحياء تراث الأئمة المحققين, والاقتصار على مجموعة من الفتاوى, والمختصرات والأبحاث المعاصرة مع إهمال تراث الأئمة المحققين وهذا أورث بلاوي عند الطلاب لأنهم تعودوا على الأبحاث الجاهزة, والحلول الجاهزة (الجاهزة) وهذا أدى إلى أن كثيرًا من طلاب العلم عندهم معلومات ومعاني لا يعلمون من أين أتت, ولا يعرفون طريقة الاستدلال لها, ولا كيف ما جاء من الخطأ ولا يعرفون كشف الاعتراضات عليها.

والأئمة المحققون هم الأئمة الذين لهم اعتناء بدراسة المسائل دراسة تفصيلية مثل المحقق كما قال الإمام الشافعي رحمه الله "من تعلم علمًا فليدقق فيه لئلا يضيع دقيق العلم" وهم الذين يستوفون كل مسألة من المسائل في أي باب من أبواب العلم سواء كان علمًا شرعيًا أو علمًا غير شرعي يعتنون بالدقة, فيحررون ما هذه المسائل؟ يحررون صورة المسألة ومحل البحث, ويجمعون الأقوال في المسألة ويتثبتون من صحة نسبة الأقوال إلى قائليها, ويعتنون جدًا بفهم المقالة ومعرفة أدلة المقالة ومعرفة الأصول التي بنيت عليها المقالة ومعرفة هذه الأقوال وحججها ثم يصلون إلى نتيجة ويحسنون عرض هذه النتيجة بأدلتها ثم يذكرون كل الاعتراضات الواردة عليها ثم يأتون إلى كل الأقوال المخالفة ويبينون

وهذا ما لفتنا إليه من نحو هذه هي منظومة العلم = التصور + جمع الأقوال
+ معرفة كيف وصل أصحاب هذه الأقوال إلى الأقوال + الوصول إلى النتيجة +
تقرير النتيجة + كشف الاعتراضات على هذه النتيجة + الرد على الأقوال المخالفة.

وهذه المنظومة موجودة في علوم العربية، وعلوم الحديث، وعلم أصول الفقه
وأصول التفسير، وعلم المنطق، وعلم الاعتقاد والعقيدة، وعلم الأحكام والفقه.

وموجودة في كل باب من أبواب العلم.

طالب العلم الذي يطالع تراث الأئمة المحققين يحصل على أمرين:

الأمر الأول: يحصل على مقالات النتائج التي وصلوا إليها، والأمر الثاني:
المنهجية: كيف وصلوا إلى هذه النتائج، وكيف حرروها، وكيف وصلوا لها، وكيف استدلوا
لها، وكيف أجابوا عن الشبه عليها، وكيف أجابوا على من خالفهم فيها.

وهؤلاء الأئمة المحققون هم من أعظم ما يتكون به طالب العلم.

وهؤلاء الأئمة المحققون كانوا على ديانة وعلم وتقوى، وكانوا على اجتهاد
وكانوا على ورع، يعرفون قدر المسئولية أمام الله تبارك وتعالى فيما يطلقونه من أحكام
وفيما يصلون إليه من مقالات، والمكون الرئيسي عندهم كان خشية الله تبارك وتعالى
والعلم بقدر المسئولية في الوصول إلى مقالة أو تصدير مقالة إلى الناس
فواجب على طالب العلم أن يعرف صفاتهم حتى يحسن أن يميزهم وأن يعرف مقالات
كل إمام من هؤلاء الأئمة، ~~[illegible]~~ الأبواب التي يرجع إليها حتى يستفيد منها

وإذا أردت أن تستقر في ذاتك أحكام ما قاله شيخنا أن تعرف سياقها لدى سيرته
وسيتعين أن تعرف سياقها من شخصية وبداية ونشأته وغير ذلك، وذلك لأن الأقوال
يكون لها محل من حالات العلم، فيتعين أن تعرف هذا المحل، وأن تدري منه حقيقة الكتب
التي لا بد أن تكون لشبابه في نشأته هذا العلم، حتى إذا شرعت في الاستقرار لذا تأملت
ما قاله فإنه يكون عندك علم منه في مقدمات هذا الباب. وهذه المقدمات
هي التي تصل بالاستقرار حتى تحصيل المراد بإذن الله تعالى.

وقرأت للإمام ابن تيمية رحمه الله أن أفضل ما يكون في طالب العلم وشيء من طالب
العلم وقرأت للإمام ابن تيمية رحمه الله هو معرفة دين الإسلام من خلال الوحي وما كان
عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في أبواب الإيمان والسلوك والعبادة والأحكام
ومعرفة كل الفرق التي نسبت إلى الإسلام ومقالات هذه الفرق ونشأة هذه الفرق
والتعرف على هذه المقالات التي خالفت أهل السنة والرد على هذه الفرق وبيان
ما هم عليه من خطأ بأدلة الوحي والعقل وكلاهما دليل قطعي لا تعارض بينهما.
ثم الاجتهاد في تقرير الحكم في هذه الأبواب في مراد الحكم باجتهاده فيه بالأدلة مع تتبع
وجه الاستدلال ومع كشف كل الاعتراضات الواردة على كل مقولة، ثم الذب عن دين الإسلام
سواء من شبه المنتسبين للفرق المحسوبين على الإسلام أو داخله في منظومة المسلمين أو الرد على
شبهات غير المسلمين كاليهود والنصارى والملحدين وغير هؤلاء.

- الاعتصام بالقرآن والصدور عنه:

بيّن ابن تيمية رحمه الله المصدر عند الخلاف وهو النبي صلى الله عليه وسلم وهم الصحابة الكرام فابن تيمية يقول إذا طرأت عليك مسألة فقبل أن تصدر منها فتوى يجب أولًا أن تعرف ماذا قال السلف فيها وما كان هدي النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فيها .

- معرفة الباطل:

قال ابن تيمية « إن فساد المعارض مما يزيد معرفة الحق وتقويته وكل من كان أعرف بالحق والباطل كان أعرف بقيمة الحق » وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال « إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية »

بيّن الإمام ابن تيمية رحمه الله أن علمك بالباطل وما بني عليه وكيف نشأ وما هي أدلته، وعلمك بالحق وهذه الأدلة مما يزيدك تمسكًا بالحق وبما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم. قال الله تبارك وتعالى « وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين »

المناظرة عن دين الإسلام:

أن تكون المناظرة واضحة قوية تظهر قوة الإسلام:

يقول ابن تيمية رحمه الله « ويجب أن يعلم أن الأمور المعلومة من دين المسلمين لا بد أن يكون الجواب عنها ظاهرًا معلومًا قاطعًا لا شبهة فيه بخلاف المسائل من مسائل أهل الكلام فكل من لم يناظر أهل الإلحاد والبدع مناظرة تقطع دابرهم لم يكن أعطى الإسلام حقه ولا وفى بموجب العلم والإيمان ولا حصل بكلامه شفاء الصدور وطمأنينة النفوس ولا أفاد كلامه العلم واليقين »

مقدمة عن الكتاب:

هذا الكتاب تذكرة لاستدراكات جليلة تعقب بها الحكيم الترمذي في شرح دعاء أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم قال يا رسول الله علمني دعاء أدعو به في صلاتي فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا أبا بكر قل: "اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم" فالحكيم الترمذي أراد أن يشرح هذا الحديث فاجتهد في بيان معانيه لكنه أخطأ في بعض الأمور وذكر أموراً ومعاني ربما تكون صحيحة في نفسها لكن لم يدل عليها هذا الحديث وذكر أموراً لا يشهد لها هذا الحديث فابن تيمية أراد شرحاً لهذا الحديث منطلقاً من شرح الحكيم الترمذي لهذا الحديث.

والحكيم الترمذي كان من علماء ومتصوفة القرن الرابع الهجري وكانت له اجتهادات في التصوف والعبادة والسلوك وأخذ عليه العلماء مآخذ كثيرة من أشهرها قوله بختم الولاية بأن الأولياء لهم خاتم كما أن الأنبياء لهم خاتم وله بعض الشطحات الشديدة في باب الولاية وذكر الإمام الذهبي شيئاً من ذلك في ترجمته له في السير. وابن تيمية هنا في هذا الكتاب يذكر مختصراً في كلامه وتعقيبه للحكيم الترمذي رحمه الله وعفا الله عنه.

فذكر ابن تيمية رحمه الله شرح الحكيم الترمذي كاملاً ومن ثم اعترض على أمور من كلامه أي جملة بجملة من عنده هذا الصواب وذكرها بالترتيب

وبين أن الله له رحمة عامة تعم كل الناس ورحمة خاصة بالأسباب
ورحمة بالأسباب والتيسير وانتهى تعليقه على هذا الحديث شيخ ابن تيمية رحمه الله أن هذا
الشرح قاصر وهو لم يشرح معنى ظلم الصديق نفسه ولم يبين أنواع الظلم ولم يعلق إلا
فقط بقواعد عامة (ابن عثيمين) وشيخ ابن تيمية رحمه الله، ثم لم يعلقوا على ما قاله
فيقول ابن تيمية، والسؤال أن الذي يشكل هو أن أشرح أخطاء قوله
الصديق "ظلمت نفسي ظلماً كثيراً"، وهذا يعد أكبر إشكال في هذا الحديث وفي الواقع
ليس إشكالاً لأن الإشكال إنما يأتي عند الإنسان بقدر ما عنده من العلم وبقدر ما عنده
من المعلومات حتى يشكل الشيء إذا خالف المعلومات أو القطعيات، فما هي المسألة
التي نشأ عنها هذا الإشكال، وما هو هذا الإشكال؟

الإشكال هو: أبو بكر الصديق رضي الله عنه هو أفضل هذه الأمة بعد النبي
الكريم صلى الله عليه وسلم علماً وعملاً وقدراً: فكيف يقول الصديق الذي يأمره
النبي صلى الله عليه وسلم أن يصرح بأنه ظلم نفسه ظلماً كثيراً، هذا في الواقع ليس
مشكلة عند من يعرف حق الله ويعرف قدر التقصير والواجبات على العبد
فلا يسع الإنسان إلا أن يعترف بالظلم وأن يطلب المغفرة، لكن هذا الإشكال نشأ
من أنه تشكل من الناس يفكر أو يستوعب أن الظلم ولو كان ذنباً واحداً
محصور في الذنوب من الكبائر الذنوب العظيمة مثل الزنا والسرقة وشهادة الزور

فيقولون كيف يقع الصديقين في مثل هذا! وهذا من الأصول التي غفل عنها
المعقول مصيبة الأشاعرة والمعتزلة لعصمة الأولياء عنها بعد. وبيّن ابن تيمية
رحمه الله هذه الفكرة.

فقال ابن تيمية إن اعتراف العبد بظلم نفسه وتقصيره ليس منقصة على الأولياء
فهو دونهم مثل هذا أعظم ما نقل عن الأنبياء الكرام من الاعتراف

قال الله تعالى عن "آدم" و"حواء": ((قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا
وترحمنا لنكونن من الخاسرين)) ، وقال "موسى" عليه السلام "رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي
فغفر له إنه هو الغفور الرحيم"
وقد تكرر منهم مثل هذا الدعاء :
كقول الخليل عليه السلام "ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب)
وقال: (والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين) ، وقال هو وإسماعيل (ربنا تقبل
منا إنك أنت السميع العليم، ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك
وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم)

وقال موسى عليه السلام: (أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين * واكتب
لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة إنا هدنا إليك) ، وقال نوح عليه السلام (رب إني أعوذ
بك أن أسألك ما ليس لي به علم وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين)
وقال يونس: (لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين) ، وثبت في الصحيح
عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول في سجوده: (اللهم اغفر لي ذنبي كله،

دقه وجله، وعلانيته وسره، وأوله وآخره"

وثبت في الصحيحين عن أبي موسى أنه كان يقول في دعائه " اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي، وإسرافي في أمري، وما أنت أعلم به مني، اللهم اغفر لي هزلي وجدي وخطئي وعمدي، وكل ذلك عندي، اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت، وما أنت أعلم به مني، أنت المقدم وأنت المؤخر، وأنت على كل شيء قدير"

أدلة واضحة قوية وجه الاستدلال واضح كما سيتبين منها لمن تأمل يريد ابن تيمية الاستدلال به على أن الأنبياء الكرام الذين هم أفضل من الأولياء والصديقين والشهداء وكل الصالحين، لهم أمور تقتضي الغفران فطلبوا من ربهم تبارك وتعالى المغفرة

ذكر ابن تيمية رحمه الله في رسالته أن اعتراف العبد بخطيئة نفسه وذكر أدلته بقوله وهو أن الأنبياء وفضلاؤهم دون غيرهم أمور اقتضت الغفران فطلبوا المغفرة وفصلوا في ذلك ثم ذكر الأدلة ومنها ما يطابقه المغفرة ومنها ما يشير إليه منها ثم سيجيب على الإشكالات الواردة على هذه المغفرة، وأقوى إشكال هنا عند قوله في التفسير " ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر " فسروا هذه الآية بأن الذنب الذي تقدم هو ذنب آدم والذنب المتأخر هو ذنب أمة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وقال ابن تيمية إن هذا الدعاء الذي ذكرته عائشة بعد نزول قوله (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) بأن النبي كان يقولها

نفسه صلى الله عليه وسلم وتعليمه من الله تبارك وتعالى المغفرة هذا الذي حصل

بعد سورة الفتح التي قال الله فيها "ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر"، فكثير

النبي صلى الله عليه وسلم من هذا الدعاء حتى بعد نزول الآية، والدليل على ذلك

سورة النصر التي فيها الاستغفار، والأمر بالاستغفار في آخر عمره، وهذا أشكل

أن الله أمره أن يبقى مستغفراً وإن كان قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر

وأيضاً وأبو موسى الأشعري وأبو هريرة، أي أصحابه، بعد نزول قوله: (ليغفر لك

الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) وهذا يدل على أن النبي بقي يستغفر الله وأن الله سبحانه

وتعالى أمره بذلك. فهذه الآية نزلت في عام صلح الحديبية، والصحابة الذين تأخر إسلامهم

بعد سورة الفتح وصلح الحديبية رووا هذا الاستغفار.

فإذا كان هذا الاستغفار من سيد الأنبياء ومنهم نبينا صلى الله عليه وسلم وهو سيد

ولد آدم وهو الذي غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فأولى بنا أن نكون في

أسوته ممن دونه.

قال ابن تيمية رحمه الله: وفي هذا رد على طائفة من الناس يعتقدون العصمة

من الذنب، وفي مسألة العصمة، يقولون في قوله: (ليغفر لك الله ما تقدم من

ذنبك" هو ذنب آدم، (وما تأخر): ذنب أمته.

السؤال: هل يمكن أن نستنبط هذا المعنى من هذه الآية أم أن هذا

المعنى عندهم ثم حاولوا أن يحملوا الآية هذا المعنى في الاستدلال لحكم

أن تؤخذ الشريعة من الدليل فيكون الشخص صاحب دليل وتؤخذ منه الشريعة أما الاستدلال الباطل أن يكون عنده شيء سابق لا كتاب ولا سنة إنما مصلحة أو مصالح ومصلحة أو مصدر آخر غير العقل ثم يبحث في العقل عما يؤيده لا دور للعقل هنا إلا التبرير.

فائدة: كل شخص يصل إلى نتيجة من غير العقل فإنه لا يستطيع أن يكون العقل شاهداً له فقد يستطيع أن يكون العقل شاهداً عليه.

فهؤلاء وصلوا إلى شيء أن الأنبياء يجب أن يكونوا معصومين من كل خطأ ومن كل ذنب وهذه النتيجة لم يصلوا إليها من طريق العقل فالعقل لا يحتم أن نؤخذ منه ذلك لا يعطاه إلا نصاً والإشكال أنهم وصلوا إليها من مقدمات عندهم منها مثلاً تنزيه الأنبياء ومنها استحالة ذلك عليهم ومنها تصوير الذنوب القبيحة وتنزيه الأنبياء عنها. فهو لا يريد أن يشهد العقل له وإنما يريد أن لا يعارضه العقل والعقل ضده كل شيء يناقض ذلك وهي آيات كثيرة: «إني لا يخاف لدي المرسلون إلا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء» وقول آدم وحواء «ربنا ظلمنا أنفسنا» وقول يونس عليه السلام «لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين» وغير ذلك من الآيات الكثيرة والأحاديث.

ومن لوازم هذا اللوازم أخرى وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم يحمل ذنب نفسه ويحمل ذنب آدم ويحمل ذنب أمته وقد قال الله «إنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم» فهذا القائل لم ينظر إلى قوله ولا معناه ولا إلى لوازمه

لا يدري من سوى ذلك أهذا أن لا يكون لنفسه شاهدًا عليه فلا يفيد ما عنى العلماء فيه ذلك

العلماء فيه: ومن هذا القول لم يقله أحد من الصحابة ولا التابعين ولا أئمة المسلمين ولا يعرف له

من نقول بالقول، فقد قاله طائفة من المتأخرين..

ومن هذا القول عليه أن يقول: الأعلم لابن تيمية أن يتكلف في لا سند إلى

على بطلان هذا القول بأنه لم يقله أحد من قبلي؟ لا فإنه تقتضي رد المقالات

المشهورة وإن لم تكن سائغة حتى لا يأتي أحد بها فما يستدل بها: فقد يكون القول

باطلًا، فإن العقلاء من ذلك تفصيل في الوجه حتى لا يأتي أحد بها فيستدل به.

قال ابن تيمية: ونظيره قول بعض الجهال أن هذا معنى شريف، وهو كذب على الله وتحريف

الكلم عن مواضعه بما لم يقل به أحد من العلماء

ذكر ابن تيمية أن القول بأن قول القائل أن الذنب المتقدم هو ذنب آدم

هو قول باطل لأنه لو كان ذنب آدم لما أمر آدم به وقد كفره الله له في حديث

الشفاعة يوم القيامة. وأيضًا لما نزلت الآية قال الصحابة: هذا لك فما لنا؟

فأنزل الله: (هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين) فلو كان ما تأخر

مغفرة ذنوبكم؟ لقال: هذه لكم. ففهم الصحابة من الآية أن ما تأخر هو ذنبه

أنت وكذلك فهم النبي صلى الله عليه وسلم ذلك.

فائدة: عندما تستدل أهل على بطلان دليل فإنك تريد أن تورد الدليل من جهة

أنه ليس حجة ليس بالكتاب أو السنة أو يكون قول العالم فهو ليس حجة.

وقد أورد الدليل بكونه ليس كاذباً أو ضعيفاً وقد أورده لأن الدلالة فيه ظاهرة لكنه ضعيف ومرتبته ضعيفة أي من قلب الدليل أي يمكن قلب ما استدل به المستدل دليلاً عليه وليس دليلاً له.

وأيضاً: فقد قال تعالى: (واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات) فقد بين ما أضاف إليه وما أضافه إلى المؤمنين والمؤمنات.

- الدرس الثاني -

فائدة : يبين الإمام ابن تيمية أن بعض الناس يكون خطأه الأكبر ليس من أنه لا يعرف أو أنه لا يريد الهدى فهو يعرفه ويريد الهدى لكنه لا يقف إلا على الأقوال الخطأ فيصل بهذه الأقوال الخطأ لا لأنه يريد الباطل ولا لأنه على الغرض ولكن لأنه لم يقف على الأقوال الصحيحة في المسألة ، فالباحث الجيد له صفتان : الأولى : هو إرادة الحق والافتقار إلى الله ، والثاني : هو الجمع كلما كان الجمع والاستقراء للمصادر صحيحاً وكانت النية سليمة وكان المعتقد والغرض سليماً كلما كان هذا أقرب إلى القول الحق في المسألة .

ويبين الإمام ابن تيمية رحمه الله أنه حين يريد أن يدخل في مسألة ما فلابد أن يبين الحكم في هذا الباب فيأتي بالنصوص المحكمة والدلالة الصحيحة الصريحة الواضحة التي تخلص منها إلى نتيجة ما ثم يذكر بعد ذلك الأقوال الأخرى ويبين خطأ هذه الأقوال ويكشف الاعتراضات على قوله الذي يراه حقاً .

ويبين الإمام ابن تيمية أنه يجب للمسلم إذا وصل إلى الحق له ما سبق أنه لا يكون قاصداً أنه ينصر قولاً لنفسه وإنما أولاً أنه يكون مريداً للحق داعياً إلى الله (قل هذه سبيلي أدعو إلى الله) فبعض الناس يدعو إلى نفسه وإلى مقالته إلى قوله فإذا تبنى قولاً فإنه في الأساس لم يتبنى هذا القول مبايناً على نظره من الوحي

أو نساعد الطلبة على طلب ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، إنما نساعدهم على أن يفهموا ما كتبه
مرتبة ارتجالية ثم يدخل في المشكلة يبحث فيها من خلال كلامه ويدخل إلى المعضلة
التي تعارض كلامه، أو يناقشه مثلاً أو جدلاً، فإن ابن تيمية يقول فيها إنه يكون الأول
أولاً بقدر الله وقدرته وإرادة الحق.

ويبين الإمام ابن تيمية أيضاً أنه لابد للإنسان أن يكون عنده قواعد كلية صحيحة
ثم بعد ذلك يدخل في الجزئيات .

ص [illegible]

عصمة الأنبياء:

يبين الإمام ابن تيمية رحمه الله أن سبب الإشكال الوارد في فهم حديث أبي بكر
الصديق، وأصل هذا الإشكال أن الذي لم يفهم هذا الحديث قال
كيف يكون الصديق ظالماً لنفسه، وكيف يأمر النبي صلى الله عليه وسلم الصديق
أن يقول "اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً" ثم يطلب المغفرة، فبين ابن
تيمية رحمه الله أن الاعتراف بالذنب وطلب المغفرة من الله هذا ليس من خصائص
الأولياء ومن دونهم بل إنه كان عليه الأنبياء الكرام وإنهم أبداً لا يستغنون أبداً إلا أنه
يعترف بتقصيره في حق الله وأن يطلب المغفرة من الله، وبين خطأ من قال إن
الذنب المتقدم هو ذنب آدم والذنب المتأخر هو ذنب أمته في الآية الكريمة
"ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر" وقال أيضاً في الآية الكريمة

"واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات" ففرق فيه بين الذنب المضاف إلى النبي صلى الله عليه وسلم والذنب المضاف إلى المؤمنين.

وثانيا: وما يبين هذا هو الأدق في تفسير الآية الكريمة من أن الذنب المقصود هو ذنب آدم، والمقصود هو ذنب أمته الآية الكريمة "ولا تزر وازرة وزر أخرى" ومن لوازم ذلك - أن تضاف إليه ذنوب أمته - أن تضاف إليه ذنوب المعاصي والإجرام والآثام وهكذا، وهذا مخالف جملة وتفصيلا، وقال الله تبارك وتعالى في كتابه "ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما" وقالوا: "الظلم": أن يحمل عليه سيئات غيره، "والهضم": أن ينقص من حسناته، وهذا مؤمن من عمل من الصالحات فكيف يحمل عليه سيئات غيره وتضاف إليه؟!

والله يقول "أم لم ينبأ بما في صحف موسى. وإبراهيم الذي وفى. ألا تزر وازرة وزر أخرى" والنبي يقول لرجل مع ابنه: "لا يجني عليك ولا تجني عليه"

وثالثا: فقد قال الله في غير موضع من القرآن: إنه ليس عليه إلا البلاغ المبين.

وقال: "فإن تولوا فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم"

فحاول الإمام ابن تيمية رحمه الله أن ينوع في الأدلة لتضليل تلك الفرية - والتنويع في الاستدلال من صفات معالم منهج الإمام ابن تيمية - فالتنويع في أدلة بيان الحق والتنويع في أدلة رد الباطل. وهذا منهج كذلك موجود في القرآن فإن الله تبارك وتعالى في إبطاله للباطل في القرآن فإنه يذكر أدلة متنوعة وطرق

إلى بيان الحق ورد الباطل .

ابن تيمية رحمه الله كثيراً ما يبين فكرة مهمة جداً في المناظرات المباركة أو الحوار يبين أنه يختص بنوعات بعض من أراد الباطل فأصابه ومنهم من أراد الحق فأخطأه إذ إن الذي أراد الحق لكنه ربما قصر في الوصول إلى الحق أو قصر في طلب هذا الحق أو أنه كسل عن طلب هذا الحق فوقع في الباطل لكنه ربما لم يكن يقصد أن هذا الباطل

لكن الشقاء أعظم الذين أرادوا الباطل ، فبين ابن تيمية أن هذه المقالات الخاطئة التي تصل إلى كتب التفسير وإلى كتب شروح السنة هذه المقالات نشأت إما من شيوخ ضلوا طريق الحق وإما كانت بريئة أو من منافقين أرادوا هذا الباطل وأرادوا نشره في الأمة .

فنشأة هذه المقالة = كيف بدأت وماذا بدأت ومن بدأ المقالة كالقول بعصمة الأنبياء ثم عصمة الصالحين = العصمة من الخطأ .

ومن أهم معالم منهج الإمام ابن تيمية رحمه الله : البحث عن نشأة المقالة وسببها .
ومن أراد أن يرد الباطل فلابد أن يعلم كيف نشأ ومتى نشأ ومن أنشأه وكيف تطور هذا الباطل .

فبين ابن تيمية هنا نشأة الغلو في القول بعصمة الأنبياء ومن ثم عصمة الأولياء والأئمة الصالحين وغير ذلك ، كقول ابن تيمية : دخلت من فرقة الرافضة وسببه العصمة على مدار الأيام ، فإن لم نعرف سبب المقالات وإن كانت باطلة لم نتمكن من

ردها ومن إزالة شبهة ٢٠.

قال ابن تيمية رحمه الله "وإذا دل من دخل في الغلو من أهل الأهواء هم "الرافضة" فإنهم غالوا في "علي" وغيره أنهم معصومون من الخطأ، احتاجوا أن يثبتوا ذلك للأنبياء بطريق الأولى والأحرى. وجاز عند الملية" وسموه "علي" من أن يكون له ذنب يستغفر منه، كان نفي ذلك عن الرسل أولى وأحرى.

ثم بين الإمام ابن تيمية مخارج من الغرض وإن شاء الذين غلوا في أشخاص وقالوا أنهم معصومون وتجاوزوا الحد فيهم، فهؤلاء إذا كان أحدهم يعتقد في بعض الرجال المؤمنين أنهم معصومون من الذنوب، بل ومن الخطأ، فكيف لا يعتقدون ذلك في الأنبياء؟!

أراد ابن تيمية رحمه الله أن يبين أن القول بعصمة الأنبياء إنما نشأ بداية من قول بعضهم بعصمة أشخاص من الأولياء ثم فاضطروا من ذلك أن يثبتوا من ذلك بطريق أولى عصمة الأنبياء من صغائر الذنوب.

والذين قالوا بعصمة الصالحين والأولياء ومشايخه: منهم من يرى الأنبياء أفضل من الأولياء والصالحين، فبالتالي يثبتون أن الأنبياء معصومون من باب أولى، ومنهم من لا يرى ذلك: يرى أن الأولياء أفضل من الأنبياء ولكنهم كذلك مضطرون إلى بيان أن الأنبياء معصومون حتى يقبل الناس مقالتهم، وهذه مقالة باطلة ولا أساس لها.

ويبين الإمام ابن تيمية أن هذا الغلو قديم وكان في اليهود والنصارى، وهذا الغلو في الأئمة والصالحين ظهر بسبب نشأة الباطنية.

من الغالطين من أدخل في الإسلام من نسبة للنصارى من اعتقاد [illegible]، ولا

سيما من الصوفية أن قالوا إن [illegible] كانت [illegible] القدرة بالقدرة، حتى لو قالوا

بجمع [illegible] .

من الأدلة أن [illegible] ابن تيمية [illegible] غلاة في [illegible] والصالحين كانوا [illegible]

وأرادوا أن يرفعوهم [illegible] فرفعوهم للكمال الذي هو [illegible] وتكذيب الكمال، إذا قال

الله: إن المسيح عيسى رسول وعبد، [illegible] فقال هو إله فهذا كذب على الله وكذب على عيسى عليه

السلام. وهذا المسيح [illegible] إنما الشرك الذي [illegible] الإنسان [illegible] والله سبحانه

وتعالى ذكر النبي محمد صلى الله عليه وسلم في أشرف المقامات صفة العبد، [illegible] الإنسان

وشرفه أن يكون عبدا لله وحده فإذا خرج عن ذلك فهو ليس حرا.

يبين ابن تيمية رحمه الله نوعين من الباطل عند النصارى: النوع الأول غلوهم في المسيح

وتكذيبهم له [illegible] من أمره؛ إذ [illegible] أن يشركوا بالله وأن [illegible]

غيره فكذبوه. والأمر الثاني: [illegible] النبي [illegible] أن يكون عبدا ويثبتون

لله الولد والزوجة، [illegible]. وهم كذلك [illegible]

أن [illegible] الصالحين الذين [illegible] لله ويطيعون أولياء [illegible] الصالحين الذين [illegible]

لله. [illegible] الخطأ [illegible] كما قال

الحاضر [illegible] باطل [illegible] مشروعة. [illegible]

مطلوبة بالعقل والنقل [illegible].

قال تعالى حكاية عن الخليل عليه السلام " وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون * الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون "

أي الفريقين أحق بأن يطمئن لمعبوده ، لأن الخصومة إنما هي في اطمئنان القلب للمعبود . وليس الأمن من الإهلاك ولكن الأمن هنا سكون القلب مطمئنا إلى معبوده . فهو يقول لهم أي الفريقين هنا أحق بأن يطمئن فإن المشرك لن يكون هادئ البال لمعبوده أنا أم أنتم .

يقول الإمام ابن تيمية رحمه الله : إن أبواب العلوم الصالحة من الأمم السابقة وكذلك من أمة النبي محمد صلى الله عليه وسلم باب كبير ومتشعب ولكن الشيخ لم يذكره وتجنبه تحفظا عليه .

فائدة : من سوى الأنبياء فليس معصوم لأن الخطأ ملازم للإنسان سواء كان صديقا أم لم يكن سواء كان ذلك خطيئة أو خطأ رفيعا أو حقيرا .

فلاحظ أن ابن تيمية هنا بدأ بالمتفق عليه وهذا فيه فوائد ومعاني ، والفائدة الأولى : أن يبين مع المخالف أن بينهما قاعدة مشتركة أي أنا وأنت متوافقين على هذا ثم ننتقل منه إلى المختلف فيه (المتنازع فيه) ثم هو تضييق على محل البحث وموضع النزاع حتى تخرج كل المسائل التي لا يشملها البحث فيتحدد التصور أي مسألة تحتاج أن تعرف المتفق عليه والمتنازع فيه حتى تخرج كل المسائل المتفق عليها والمسائل التي تتنازع فيها التي لا يشملها البحث فيكون تصوير المسألة تصويرا دقيقا .

قالت الأئمة: "كل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم"

وقد ذكر الله طاعته واتباعه في نحو من أربعين موضعاً في القرآن

كما قال: "من يطع الرسول فقد أطاع الله" وقال: "وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله" وقال تعالى: "فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما" وقال تعالى: "ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين"

والنبي محمد صلى الله عليه وسلم يجب اتباعه وطاعته وعدم الخروج عن أمره ونهيه ذلك أن تشريعات النبي محمد صلى الله عليه وسلم ليست من تلقاء نفسه إنما أوحاها إليه ربه أكد أنها بأن شأنه ما شاء الله ورسوله وهذا هو أعظم التشريف له صلى الله عليه وسلم وهو أن طاعته طاعة لله وأنه يجب عدم الخروج عن أمره.

والعبادة لله: أن تجمع غاية الحب له بغاية الذل له.

فائدة: كل صفة، وكل كمال ومقام وحال قرب إليه نحو ذلك مما يحبه الله لعباده، ويطلبه منهم ويرضى لهم فهو داخل في طاعة الله ورسوله، أو مستلزم لذلك.

ولهذا اتفقت الأمة على أنه معصوم فيما يبلغه عن ربه تبارك وتعالى، فإن مقصود الرسالة لا يتم إلا بذلك.

فائدة: لفظ "معجزة" هو لفظ مستحدث ولم يذكر في القرآن بل جاء بـ"آية أو بينة أو برهان" وهذا هو التعبير الصحيح من القرآن. مما لا يأتي به إلا نبي فهو دليل نبوته

فيما يبلغ

وأيضا فقد اتفق العلماء والأئمة على أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يقر على خطأ فيما يبلغه
لا يقر على الذنوب؟ لا صغائرها ولا كبائرها، فإذا ذكرت ذنوب للأنبياء
فلابد أن يذكر توبتهم منه ويكون حالهم أكمل مما كانوا عليه قبلت التوبة كما جرى
في البداية وتكون العبرة بكمال النهاية،

ذكر الإمام ابن تيمية رحمه الله أن المتفق عليه عند الأئمة أن الأنبياء معصومون سواء
كان صغيرا أو لم يكن أو أنه واجب فإنهم ما أقروا وأنهم معصومون فيما يبلغونه عن
الله وأنهم لا يقرون على خطأ ثم ذكر التنازع فيه: هل تقع منهم بعض الصغائر
مع التوبة منها أو لا تقع بحال؟ فقال كثير من المتكلمين من "الشيعة" و"المعتزلة"
وبعض "متكلمي أهل الحديث": لا تقع منهم الصغيرة بحال. وزادت "الشيعة"
حتى قالوا: لا تقع منهم لا خطأ ولا غير خطأ.

وأما السلف وجمهور أهل الفقه والحديث والتفسير وجمهور متكلمي أهل الحديث
من أصحاب الأشعري وغيرهم: فلم يمنعوا الوقوع إذا كان مع التوبة، كما دلت عليه
النصوص؟ نصوص الكتاب والسنة. فإن الله "يحب التوابين ويحب المتطهرين"

(الدرس الثالث)

كتب عبد الله العمري - العابد - إلى مالك يحضه على الانفراد والعمل، فكتب إليه مالك "إن الله قسم الأعمال كما قسم الأرزاق فرب رجل فتح له في الصلاة ولم يفتح له في الصوم وآخر فتح له في الصدقة ولم يفتح له في الصوم وآخر فتح له في الجهاد ونشر العلم من أفضل أعمال البر وقد رضيت بما فتح لي فيه وما أظن ما أنا فيه بدون ما أنت فيه وأرجو أن يكون كلانا على خير"

علق ابن تيمية على هذه الفكرة وهي فكرة تنوع العبادات وتنوع شعب الإيمان كيف يأخذ الإنسان من هذه الشعب ما يناسب قدرته ويكون مقبلاً على فعله وما يكون أكثر نشاطاً على فعله وما يكون أقدر عليه.

قال ابن تيمية رحمه الله "الناس يتفاضلون في هذا الباب فمنهم من يكون العلم أيسر عليه من الزهد ومنهم من يكون الزهد أيسر عليه ومنهم من تكون العبادة أيسر عليه منهما فالمشروع لكل إنسان أن يفعل ما يقدر عليه من الخير كما قال تعالى "فاتقوا الله ما استطعتم" وإذا ازدحمت شعب الإيمان قدم ما كان أرضى لله وهو عليه أقدر فقد يكون على المفضول أقدر منه على الفاضل ويحصل له أفضل مما يحصل من الفاضل فالأفضل لهذا أن يطلب ما هو أنفع له وهو في حقه أفضل ولا يطلب ما هو أفضل مطلقاً إذا كان متعذراً في حقه أو متعسراً يفوته ما هو أفضل له وأنفع كمن يقرأ القرآن

ومنهم من ينتفع بتلاوته والصلاة تثقل عليه فلا ينتفع منها بالعمل، أو ينتفع بالذكر أعظم مما ينتفع بالقراءة فأي عمل كان له أنفع ولله أطوع أفضل في حقه من تكلف عمل لا يأتي به على وجهه بل على وجه ناقص ويفوته ما هو أنفع له ".

وهذا أحسن ما يقال في قول الله تعالى " فاتقوا الله ما استطعتم " أن يختار الإنسان من العمل الصالح ما يناسب قدرته وما يناسب مواهبه، وليس هذا من الهوى بل هو من الحكمة - فإنه يكون قادرا عليه ويكون متقنا في أدائه ويكون مستمرا في أدائه ومع ذلك يطرق الإنسان كل باب من أبواب الخير بسهولة

ويمكن أن نلخص هذا في قضية مهمة: الأولى: أن يختار الإنسان الطاعة الأكبر مما يليه ، بأنه الأعظم في التقرب من الله ، أن يختار من العمل الصالح ما يناسب مواهبه لاختيار من العمل الصالح أعظم العمل الصالح لأنه ربما يكون أعظم العمل الصالح لا يناسب مواهبه.

فيختار من شعب الإيمان ما يناسب قدرته ومواهبه ، فالله سبحانه وتعالى قد نوع لنا في شعب الإيمان وبين أن شعب الإيمان كثيرة ، وهذا التنوع لا يتفق مع شخص إلا كانت قدراته ومواهبه وإمكاناته الإنسانية أن يكون وليا لله تبارك وتعالى إذا أحسن اختيار ما يناسبه من شعب الإيمان ، النبي الكريم صلى الله عليه وسلم قال لأبي ذر الغفاري رضي الله عنه " إني أحب لك ما أحب لنفسي من الخير لا تأمرن على اثنين إنك ضعيف " فالنبي صلى الله عليه وسلم بين لأبي ذر ما يناسبه من الخير وليس معنى ذلك أنه يختار له من العمل الصالح بعض ما اختار لنفسه صلى الله عليه وسلم فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم متوليا

أو كل الأمة، وذلك أصح لحديث أبي ذر رضي الله عنه ما رواه مسلم في ذكر سببه وذلك
أن أبا ذر ضعيف وإنه كان أميناً زاهداً تقياً ورعاً صادقاً لكنه لا يقوى على هذه الشعبة
من الإيمان. أن يكون إماماً أو أن يكون حاكماً أو متولياً لأمر الناس

فهذه هي الفقرة الأولى وهي أن تمايز الإنسان في فعل الصالح من شعب الإيمان
ما يناسب مواهبه.

الفقرة الثانية: إذا اجتمعت هذه الشعب ووقعت معه أمام الإنسان أن يختار
من فعل الصالح عند اجتماعه ما تكون أقدر عليه وتشتهيه نفسه. لأن هذا يجعله
تقوم به على وجهه وأنت مستريح بلا تكلف. ومع ذلك ينوع في كل شعب الإيمان
ويضرب من كل واحد منها بسهم.

ص ٤٩

يبين الإمام ابن تيمية رحمه الله بالأدلة أن الأبرار الكرام عليهم أن يعلموا بما يكتب
هذا الذنب ليس كبيراً وعليه أن يعلم منهم عظائم الاجتهاد لكنه لا يصر على
عظائم لا يبقى مذنباً بغير توبة لذلك سيأتي بالأدلة على هذه الفقرة.
والأدلة التي سيذكرها عليه أن تكون مطابقة للفقرة كلها، وذلك أن تكون
حسنة أو جزئية لجزء من الفقرة. والفقرة قالوا إن الأبرار لا يقع منهم ذنب كبائر
ولا عظائم الاجتهاد ولم يستدل على ذلك بآيات وأحاديث من الكتاب والسنة وإنما سيذكر ذلك

صفحات مضيئة صنعها أصحابها، ووصلوا إلى مستويات عالية فحاولوا أن يأتوا بأعمال
كما يريد لهم دينهم، وأن يكملوا كل النقائص التي كانت في شخصياتهم، فنجد أنهم حققوا هذا الأمر
فإن الله "يحب التوابين ويحب المتطهرين"، وإذا ابتلي بعض الأكابر بما يتوب منه
فذلك لكمال النهاية، لا لنقص البداية. كما قال بعضهم "لو لم تكن التوبة أحب
الأشياء إليه لما ابتلى بالذنب أكرم الخلق عليه. ما يخفى من خطيئته أنهم صنعوا أن
الذنب أمر لا يتغير، أن الإنسان إذا أذنب فإنه لا يتغير هذا الذنب، ورب ذنب
الإنسان ذنبا يكون سببا في توبته توبة نصوحا إلى الله ويكون سببا في أن يرتفع مقامه.
وبالتالي ليس الموضوع في الذنب هو المهم ولكن المهم هو التوبة أن لا يبقى مصرا دون توبة
وفي الأثر "إن العبد ليعمل السيئة فيدخل بها الجنة، وإن العبد ليعمل الحسنة فيدخل
بها النار" ليس معنى ذلك أن السيئة هي التي أدخلته الجنة وأن الحسنة هي التي أدخلته
النار، وإنما المقصود أنه يعمل السيئة فيعظم في نفسه أنه عصى الله فيتوب من هذه السيئة
ويبدأ صفحة جديدة من العمل الصالح، وأيضا يعمل الحسنة فيعجب بها ويستكبر فيدخله ذلك النار
والمقصود من هذا أن نوصل الفكرة أن الاعتبار يكون بكمال النهاية لا بنقص البداية
حتى حياة الصحابة الكرام بعد الإسلام وقد كانوا في الجاهلية يفعلون المنكرات، فما صنعوا
بعد الإسلام ميزان الاستقامة لأنهم بلغوا درجة علامة على الإيمان، وهذه الفكرة
تنفي أن يأتي أحد ليحدث ذنبا أو خطأ من شخص أو مجموعة من الأولياء.

رابعاً: فالحسنات والسيئات تتنوع بحسب المقامات كما يقال: «حسنات الأبرار سيئات المقربين» فقد يكون الفعل حسنة بالنسبة لعبد من العباد وقد يكون نقصاً بالنسبة لعبد آخر، وليس معنى ذلك أن يكون هذا الفعل الصالح بعينه أن يكون سيئة ولكنه أن يكون ناقصاً فالفعل الصالح هو عمل صالح لكن العبد إذا كان يقدر على عمل صالح عظيم ثم انشغل بعمل صالح أقل منه فهذا يعد نقصاً والعبد الذي يقدر على عمل صالح عظيم أو واجب عليه ثم تركه هذا الفعل وانشغل بما هو أقل منه فهذا نقص. ويتبين لنا أن هذا اللفظ ليس محفوظاً كحديث مرفوع لا عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن أئمة من سلف الأمة وأشهرها أنها من كلام ؟ وله معنى صحيح وقد يحمل على معنى فاسد.

من هذه المعاني الصحيحة، بحيث أن الإنسان المقرب الذي يحرص على معالي الأمور إذا اقتصر على الواجبات وترك المحرمات فقط فإنه ينزل عن درجة المقربين وهذا يعتبر سيئة في حقه ويعتبر أنه نزل عن درجة المقربين لأنه نقص الفعل الصالح الذي هو ترك المحرمات وفعل الواجبات يستغفر منه أي السيئة. وإنما سيئة فإنه مقصر بما يليق أن يصل إليه من الأعمال الصالحة. ثانياً أن العبادات تتنوع باختلاف قدرة العامل وباختلاف كلفهم فالأعلم والأقدر حسابه عند الله أعظم بكثير من الأقل منه علماً، فالإنسان يحاسب عند الله بقدر علمه وبقدر قدرته. فإذا كان الإنسان قادراً على إنكار المنكر بيديه ولسانه كما فعل ثم اكتفى في ذلك بإنكاره بقلبه فهذا ناقص بلا شك وإن كان إنكاره بقلبه عملاً صالحاً في ذاته لكنه نقص في حق هذا القادر، وإذا كان الإنسان عالماً قادراً على الاجتهاد

ثم اكتفى بأن يقول من لا يجوز أن يطلب الاجتهاد فيه إلا بعد تقصيراً وبعد يئسه من هذا الباب

فائدة: كل الحالات التي تصدر عن دون رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقرن بالوحي فلا تقبل ولا ترد إلا بحجة من الوحي، فهذه الحالات لا يستغنى أن نعطي بلا أكثر من الاكتفاء بالوحي علماً وعملاً والذي يستغنى أن يستفيد منه الناس من الدعوة والتعليم والتعلم والوعظ والإنذار والتبشير والتذكير هو الوحي، وإنما هذه الحالات يمكن أن تحمل معاني خطأ ويمكن أن تحمل معاني صحيحة، فنحاول أن نبحث عن المعنى الصحيح وننسبه للناس ولا نرد هذه الحالات فربما نرد ما مع الباطل حقاً، ولا نقبلها مطلقاً فربما نجعل باطلاً.

يريد الإمام ابن تيمية أن يقول أن الأحوال التي هو عليها هو لا هم أن الأنبياء والصالحين لا يمكنهم أن يصدر من الواحد منهم ذنب أو خطأ فضلاً عن الذنب أو لا ينبغي مثلها في الأنبياء أن يقع منهم لأنهم في مرتبة النبوة ومرتبة الصديقية ومرتبة الصلاح فلو أنهم فعلوا هذا لنزلوا من هذه المرتبة، فمنه ابن تيمية ما هذا؟ لأن الحال الذي هو عليه ثم يقول بعصمتهم ويقول أن هذا نقص وتقصير بل ربما يكون الإنسان بعده أعظم مما كان قبله كما قال الله عن يونس عليه السلام "فاجتباه ربه فجعله من الصالحين"، فالاعتبار هنا بكمال النهاية وليس بنقص البداية وليس معنى ذلك أن ابن تيمية يهون من الذنب ولكنه يذكر ما هو من الوحي، ويعظ الناس مثلاً لا يحدث الناس إلا بالترهيب والتخويف من النار ويعظم لهم الذنوب كثيراً جداً لدرجة أنه يقنطهم من رحمة الله.

وقد قال الله تعالى "نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الأليم"

هذا هو الصحيح أن يذكر الإنسان الناس بالترغيب والترهيب فلا يبين لهم عظم الذنب لكن يبين لهم أنهم إذا دخلوا في هذا الذنب فلهم مخرج. فهذا ليس تجرئة للناس على الوقوع في المعصية بل هو فتح لباب الرجاء والتوبة أمام من وقع في هذا الذنب ومع ذلك يبقى خائفة الخوف من ارتكاب أمور وأن يجتهد في الابتعاد عن الأسباب التي توقعه في الذنب، وأنه إذا ضعف وأذنب لا يرضى بهذا وإنما يستغفره ثم أيضا أنه لا يرضى أن يبقى مذنبا بغير توبة واستغفار وأيضا أن يجتهد أن يكون بعد ذلك وأن يكثر بالأعمال الصالحة.

بين الإمام ابن تيمية أن الذنب ليس شر وأنه أحد الأصول التي أخطأ فيها هؤلاء الغلاة الذين لا يتصورون إمكانية وقوع الذنب من الأنبياء والصالحين لأنهم توهموا أن الذنب أمر ناقص لا يصح بل أن المتنقل من الضلال إلى الهدى ومن السيئات إلى الحسنات يضاعف له الثواب كما قال الله تعالى "إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً"

وقد ثبت في الصحيح بأن الله يوم القيامة يظهر لعبده فيقول "إني قد أبدلتك مكان كل سيئة حسنة" فحينئذ يطلب كبار ذنوبه

وذكر الإمام ابن تيمية الأصل الثاني وهو أحد الأصول التي يستند إليها وهم الناس إذا قال أحد الناس بأن الأنبياء يمكن أن يقع منهم ذنب أو الصالحون وهو تصوره أن الذنوب منحصرة في الزنا أو السرقة أو شهادة الزور وعقوق الوالدين

فمن يظن أن أحداً أكبر من أن يفعل ذلك؟ أساساً العقلاء من بني آدم حتى الكفار
لا يفعلون ذلك. فلذا أبا بكر وكثير من الصحابة كانوا قبل الإسلام لا يرضون أن يفعلوا
مثل هذه الأفعال ولهذا لما بايع النبي صلى الله عليه وسلم هند بنت عتبة بن ربيعة
أم معاوية مع بعض النساء على أن لا يسرقن ولا يزنين، قالت: "أو تزني الحرة". فيعني أن
العقلاء ما لا يخطر ببالهم هذه الذنوب فضلاً من أن يفعلوها.

كما كانوا في الجاهلية يعرفون الزنا إلا للإماء. ولهذا قولها "حرة" يراد به:
العفيفة؛ لأن الحرائر كن عفائف.

كثير من الأشخاص إذا سمع نصوصاً فيها التوبة من الذنوب ينظر إلى نفسه فيظن أن
الذنوب هي الزنا والسرقة وشرب الخمر والربا وأكل مال اليتيم فيرى أنه لا يفعل هذه
الأمور فيظن على نفسه وهذا إنما يأتي لجهله بقدر ما عليه من الواجبات فلذلك يخطئ كثير
من جهات أولاً لأنه يجهل الواجبات والمحرمات لا يعرف إلا معرفة قاصرة وشاملة بتقصيره بما يعرف.
فما يظن أنه لا يحتاج أن يحاسب نفسه عليها لأنه يجهلها فلا يعرف أن الحسد والكبر والرياء والفخر
وإرادة العلو والظلم والكلام في كثير من الذنوب ربما تكون من الكبائر فلذلك كلما كان الإنسان
أعلم بالشرع وأعلم بالحلال والحرام كان أكثر اتهاماً لنفسه ولهذا تعرف لماذا
أمر النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق بأن يقول ظلمت نفسي ظلماً كثيراً
ولماذا كان الأنبياء والكرام والأولياء من أهل السبق بالفضل والشرف لماذا كانوا يعترفون بهذا)

لعلمهم بما يجب عليهم من شرائع الله تبارك وتعالى. فأنواع العبادة أعظم وأكثر تنوعاً من أن يطبقها الإنسان على نفسه بجملته من العبادات والمعارف والعلوم عند أهل السنة خاصة ومشروعة فربما يكون الإنسان تاركاً للأوراد الشرعية وشاغلاً الورد بكثير مشغولاً بإرادة العلوم الفكرية والكبر، يريد أن يكون زعيماً ويريد أن يكون صاحب رئاسة يريد أن يكون صاحب الشيوع.

وقد ثبت في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟
قال: «ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته»

أي أن أحدكم لا يستحق الجنة بمجرد عمله فإن العمل مهما بلغ لا يمكن أن يبلغ الجنة ولكن مع ذلك العمل سبب في دخول الجنة، فالباء سببية.

تابع صفحة ٩

* ما معنى ظلم النفس؟ وما معنى كلمة مغفرة من عندك؟

يعني أي شيء أن كل عبد من عباد الله لا يسعه إلا أن يعترف أنه ظلم نفسه وأن يطلب المغفرة من الله وإذا ثبت هذا فظلم النفس يكون بترك ما يؤمر وهو محتاج إليه أو بفعل ما يضرها. كما أن ظلم الغير يكون: إما بمنع حقه أو بالتعدي عليه والنفس إنما تحتاج من العباد فعل ما أمر الله به وإنما يضرها فعل ما نهى الله عنه فظلمها لا يخرج عن ترك حسنة مأمور بها أو فعل سيئة منهي عنها. ويريد أن يقول أن ظلم النفس أن يحرمها ما تحتاج إليه أو أن تقصر في العمل بما يجب عليه من شرائع الله

فائدة: الله تعالى أمر العباد بما ينفعهم ونهاهم عما يضرهم، فأوامره بما فيه صلاحهم، ونواهيه عما فيه فسادهم. فالصلاح كله في طاعة الله، والفساد كله في معصية الله.

فائدة: لا يحتاج الإنسان أن يعرف الحكمة من الأمر ولكن يجب عليه أن يمتثل ولكن معرفة الحكمة مما يزيد الإنسان تمسكًا بهذا الحكم وتقوية على القيام به كما قال الله تبارك وتعالى "ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق ويهدي إلى صراط العزيز الحميد".

خلاصة القول أن الله تعالى حكيم ولا يشرع ولا يأمر ولا ينهى إلا لعلم وحكمة.

يريد الإمام ابن تيمية أن يبين أن الناس متفاوتون في قدر ما يجب عليهم من الأمور وفي قدر ما يحتاجون إليه فلو أن شخصًا تولى إمامة الناس فصار يجب عليه أن يقوم بأسباب الإمامة من أن يتعلم أحكام الإمامة ويتعلم أحكام الصلاة وهكذا أمر ما يجب على إنسان أمور ليست أمور دخل فيها لا تتعلق الأمور الأخرى ولا تكون واجبة على غيره ممن لم يدخل في هذه الأمور فما فصّله الناس في الأمر الذي تتعلق بالعلم والقدرة وبحسب ما يتعرضون له من الأحوال.

قال الإمام ابن تيمية: "ومتى ازدادت معرفة الناس بالتقوى والزهد، وتقلب القلوب وما عليها من الخشوع لله والعبادة، وما حد الله من الحدود؛ فعلم أنه لا يخلو أحد من ترك بعض الخشوع أو تعدي بعض الحدود." إن الإنسان كلما ازداد علمًا بشرع الله وجب عليه كل شيء سواء كانت هذه الأشياء خاصة أو عامة أو مصلحية أو زوجية

أو إثبات أحكام لا كل حق لازم عليهم وواجبات وحقوقهم فإذا علم الإنسان ذلك
علم أن أي إنسان على وجه الأرض لا يمكنه أبداً أن يقوم بكل هذا على وجهه فإنه لابد له
من أن يوجد له تفريط في حقوقهم وأن يتعدى عليها بحدود. فهذا لا يستغرب أنه يقصر فيما عليه
وأن يطلب المغفرة. ولهذا يحتاج الإنسان دائماً أن يهديه الصراط
المستقيم من جهتين: من جهة العلم والعمل.

(الله تعالى غفور شكور) : (يغفر الكثير من الزلل ويشكر اليسير من العمل)

الإنسان يحتاج إلى الشكر، والاستغفار، والاستعانة بالله
فـ "الشكر": نعم على ما مضى من إحسانه، و"الاستغفار": لما تقدم من إساءة العبد؟
و"الاستعانة": لما يستقبله العبد من أموره.

يبين الإمام ابن تيمية أن الإنسان همه أن يقصد بالخير إن كان (يعلمه) وأن يعمل به
وأن جهل الشر الجهل به إنكاره ونقصه العمل به.

(فائدة) الإنسان إذا لم يعلم من الحق ما يحتاج إليه أو لم يعرفه أو لم يعمل به كان ظالماً لنفسه.
وإن أقر بالحق أو أحبه واتبع هواه كان ظالماً لنفسه أيضاً.
والإنسان ظلم نفسه إما أن يتبع الظن أو أن يتبع هواه. لذلك قال الله تعالى
"إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى" فالهدى جاء
لكن من اعتقاد الإنسان ظنه ويكون عمله هوى والذي يأخذ ذلك إما اتباع الظن
أو اتباع ما تهوى الأنفس

فائدة: لا اجتهاد مع النص = النص هنا يعني الحكم البين الظاهر الواضح والقطعي

الهوى: من عرف الحق ولم يعمل به كان متبعاً لهواه واتباع الهوى من الغي.

ومن عمل بغير علم كان ضالاً. قال تعالى: "وإن كثيراً ليضلون

بأهوائهم بغير علم" وقال: "ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله"

فمقياس اتباع الهوى بغير الهدى. لأن الإنسان عليه أن يتبع ما يهوى كالهدى من الله.

لكنه يحب النساء ويتزوج = لا عليه أن يكون ~~شيء~~ مباحاً لأن الإنسان يهواه إلا ويكون

الله تبارك وتعالى قد جعل له طريقاً مشروعاً له.

فائدة: العبد إذا عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم، قال تعالى: "

"والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم" فإذا ترك العمل بعلمه، عاقبه الله

بأن يضله عن الهدى الذي يعرفه. كما قال: "فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم"

فائدة: "الذنوب" تتناول جنس الذنوب وأما "الإسراف" فهو تعدي الحدود.

كما قال المؤمنون قبلنا: "ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا" فالعطف يقتضي

عدم المطابقة الذنوب لا تساوي الإسراف وإن كان الإسراف نوعاً من الذنوب.

فائدة: الحقيقة الأولى لأي شيء أي قول أو دليل أي تأويل أو لسان معناه

= أن تكون عالماً به معناه وأن تعرفه وأن تبين معناه

يقول السائل: ما مفهوم قول الصديق: «ظلمت نفسي ظلماً كثيراً» في الدعاء بين يدي الله، وكيف يجوز والصديق رضي الله عنه من أئمة المتقين، والرسول أمره بذلك؟

نعرض شبهة في هذا الدعاء!! ومثار الشبهة أنه يقال: الصديق رضي الله عنه أجل قدراً من أن يكون له ذنب يكون ظلماً كثيراً، فإن ذلك ينافي مرتبة الصديقية.

وهذه الشبهة تزول من وجوه:

أحدها: أنه لا اعتبار بكمال النهاية لا بنقص البداية، وقد نال ذلك بالمجاهدة والاستغفار والتوبة، وما من صديق إلا وعليه أن يتوب من الكفر والفسوق والعصيان، كالصديقين من السابقين الأولين، وليس أحد إلا وعليه ذلك، وما وجد قبل التوبة، فإنه لم ينقص صاحبه إذا تعقبته التوبة ولم تنقص من شرائطه، والاستغفار أكثر شيئاً يستغني عن التوبة، وفي صحيح البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أيها الناس توبوا إلى ربكم، فوالذي نفسي بيده إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة» وفي صحيح مسلم عنه صلى الله عليه وسلم: «إنه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة» والمراد بالغين: فترات عن الذكر الذي شأنه أن يداوم عليه، فإذا فتر عنه لأمر ما عد ذلك ذنباً فاستغفر منه.

ومثله الدعاء في الحديث المتفق عليه: «اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري، وما أنت أعلم به مني، اللهم اغفر لي هزلي وجدي وخطئي وعمدي، وكل ذلك عندي، اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، أنت إلهي لا إله إلا أنت»

وهذا من عظيم الاستدلال وهو أن يكون ما يستدل به وهو الاستدلال بالأدلة أن يكون
المستدل به أقوى دلالة من المراد. فهذا الدعاء من أشرف أعظم ما في الدعاء
الذي أمر به الصديق رضي الله عنه.

وقال الصديق الأكبر خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر الصديق لما ولي الناس:
«أيها الناس القوي فيكم الضعيف عندي حتى آخذ منه الحق، والضعيف فيكم القوي
عندي حتى آخذ له الحق، أطيعوني ما أطعت الله، فإذا عصيت الله فلا طاعة لي عليكم»
ووجه الاستدلال هنا أن الصديق بين لهم أنه يمكنه أن يخطئ ويمكنه أن لا يطيع الله
فأرادهم أن يقوموه إذا لم يطع الله.

وثبت في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قص رؤيا رآها فقال أبو بكر: دعني
يا رسول الله أعبرها، فلما عبرها قال: أصبت يا رسول الله أم أخطأت؟ فقال:
«أصبت بعضًا وأخطأت بعضًا» ووجه الاستدلال من هذا أن الصديق هو أكثر من
الخطأ ما بالاجتهاد.

وأفضل هذه الأمة بعد أبي بكر: عمر، وكان محدثًا ملهمًا.

فما كيف المحدث الذي يأخذ من قلبه؟ فقلبه قد يصيب وقد يخطئ، فيجب على
كل محدث ومكاشف أن يعرض ما يقع ~~في قلبه~~ عليه على الكتاب والسنة، فإن وافق ذلك الأدلة،
قال سهل بن عبد الله التستري: «كل وجد لا يشهد له الكتاب والسنة فهو باطل».

ابن تيمية رحمه الله يقول عن محدَّث أمثال عمر فإن الصديق الذي لا يحتاج الإلهام لوجود تسليم للرسول من كمال متابعته للرسول فهو أرجح علماً وعقلاً وبصيرة حيث أنه إذا جاءت المحدَّث أو الملهَم فإنه يعرض ما يلقى في نفسه من حقه ولكنه من كثرة موافقته للسنة. من الشواهد على ذلك أن أعظم المشاهد التي وقعت للنبي بها كان أبو بكر سيدها في الحديبية هو أبو بكر وقد طرح نفس ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم من غير أن سمعه أيضاً لما توفي النبي صلى الله عليه وسلم وحصل أمر شديد عظيم على الناس هو أبو بكر وصعد وقال كلاماً حكيماً وحمد الناس من شدتهم. أيضاً في قتال مانعي الزكاة وفي قتال المرتدين فإن أبا بكر هو الصحابي الذي لم يكن أفقه هذه الأمة وأشدها إيماناً مع كونه هو الأسيف الذي يخشع في صلاته رضي الله عنه

فإذا كان الصديق والفاروق هما خير الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فهما مع الرسول كما ترى - يؤخذ أقوالهم وأفعالهم بهدي النبي صلى الله عليه وسلم - فكيف بمن دونهم - ممن هو أدنى من ذلك.

وبهذا يعلم: أن كل من ادعى استغناءه عن الرسالة بمكاشفة أو مخاطبة أو رؤية ذلك له أو لشيخه ونحو ذلك، فهو من أضل الناس.

شرح حديث (اللهم إني ظلمت نفسي) لابن رجب رحمه الله

أ/حسين عبد الرازق

الدرس الرابع

يريد الإمام ابن رجب أن يقرر أن اتباع الوحي هو الذي يعصم من الخطأ. ويرد على طوائف ثلاثة الصوفية في جواز مخالفة الوحي: أن الولي أو المتبوع أو الشيخ عندهم يمكن أن يخالف الوحي ولا يكون ذلك مخالفة للشريعة لأنه يأتيه منامات أو إلهامات كاجتهادات أو كشف وغيره: اجتهاد فمخالفته الوحي. فهم استدلوا على هذه الفكرة بقصة الخضر مع موسى. وملخص هذا الاستدلال أن الخضر فعل أشياء أنكرها موسى ومع ذلك كانت أشياء حقًا وكان من ظاهرها الباطل لكنها كانت في الباطن حقًا فبالتالي يمكن للولي أن يخالف شريعة نبيه أو أن يخرج عن هذه الشريعة كذلك قالوا.

المعرفة: من أين نأخذ ديننا = مصدر المعرفة معناه أن الإنسان إذا نزلت نازلة وكان عنده مسألة يريد أن يبحثها أين يبحث؟ وما هو المصدر الذي يصدر عنه إذا أراد أن يبحث مسألة تخص دينه؟ وإذا وقع نزاع في مسألة دينية فما هو المرد عند النزاع وما هو الفصل والحكم عند النزاع؟ فهذه المسألة عندنا أربعة مناهج للفرق المنتسبة للإسلام:

المنهج الأول: المنهج الحق: منهج كل من اتبع الوحي وصدر عنه وعلم أن الوحي هو المنطلق منه يبحث وهو ~~المطلق~~ المرد عند التنازع كما قال الله تبارك وتعالى للنبي صلى الله عليه وسلم: (ألم يجدك يتيمًا فآوى ووجدك ضالًا فهدى) فهداية النبي صلى الله عليه وسلم كانت من الله ومن الوحي. قال الله تبارك وتعالى:

وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور. فبالوحي جاءت الهداية وبسبب الهداية كما أمر الله نبيه أن يقول "إن ضللت فإنما أضل على نفسي وإن اهتديت فبما يوحي إلي ربي".

المنهج الثاني: المتكلمون: والمتكلم هو من يريد أن يحتج للعقيدة بالعقل وهو الاحتجاج على العقائد بالعقل وهذا الاسم يجمع طوائف كثيرة من فرق الجهمية والمعتزلة والأشاعرة ثم الماتريدية والكلابية. فهؤلاء يجعلون العقل هو المصدر في الاستدلال والاحتجاج ويجعلون الوحي إما استشهاداً أو تابعاً.

المنهج الثالث: غلاة الصوفية الذين يجعلون مصدر المعرفة: الكشف. كما جاء في الذوق أي ما يلقى في قلوبهم من الحدس والمعارف يجعلونه هو المرشد الشارع، ويجعلونه هو مصدر المعرفة أي الإشارة وما يقع في قلبه من الخواطر والمكاشفات والمنامات حيث إن مصدر هذه المعاني ويجعلونه يخالف الوحي وأنه يكون له طريقته الخاصة لكل شيخ وله طريقه.

المنهج الرابع: الفلاسفة الإسلاميون: وهم جماعة ينتسبون إلى الإسلام ولكنهم قبلوا الفلسفة بشكل عام وفلسفة أرسطو بشكل خاص وجعلوها هي مصدر المعرفة والقرآن للعامة وصدروا أنه واحد واقع في قلبه. ومن تقدمهم من أفلاطون وأرسطو ويسمونه المعلم الأول. والفلسفة مصادرها المسالك التي يصل إليها الإنسان بعقله

الواضح

أما المنطق فهو طريقة التفكير السليم عندهم، وعندهم حكمًا أن يخالف العقل دون دلالة بناءً على أنه مقدم فلسفة أرسطو فما خالف ما رأى أنه العقل خالفوه.

هؤلاء الثلاثة غلاة الصوفية والفلاسفة الإسلاميون والمتكلمون اتفقوا على أمور واختلفوا في أمور: اتفقوا على أنهم لم يجعلوا الوحي هو المتلقى من الكتاب والسنة وهو المورد عند التنازع أو عند التخاصم أو عند الاختلاف، وليس هو مصدر المعرفة الرئيسي وكذلك اتفقوا على جواز مخالفة هذا الوحي أو ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم ولكنهم اختلفوا في ما هو مصدر المعرفة فالمتكلمون يجعلون مصدر المعرفة العقل = علم الكلام وهو منتج العقل، والفلاسفة الإسلاميون يجعلون فلسفة أرسطو هي مصدر المعرفة والصوفية يجعلون الكشف أو الذوق أو ما يكون في قلب الولي أو العارف هو مصدر المعرفة ويجوز أن يخالف الوحي. ولا يمكن أن نخرج إنسانًا من نسبه إلى الإسلام من هذه الأربعة إما أن يقول أن العقل والوحي بينهما تكامل ويجعل الوحي هو الأصل كما يقول به أهل السنة وإما أن يجعل الكشف أو الذوق هو الأصل ويجوز عنده مخالفة الوحي وإما أن يقدم ما يسميه العقل على الوحي حتى عند التعارض حتى لو كذبه ورده وإما أن يقدم الفلسفة سواء كانت فلسفة أرسطو أو غيره من الفلاسفة.

وهؤلاء الثلاثة لأنهم ينتسبون إلى الإسلام احتاجوا إلى أمرين: احتاجوا إلى محاولة الاستدلال من دلائل الوحي على ما قالوه وقرروه في الكتاب يبحثون عن أدلة من الوحي تفصيلية أو إجمالية تدل على هذه العقيدة: أن مصدر المعرفة هو العقل،

أي أن مصدر المعرفة هو العقل، وأن مصدر المعرفة هو الشرع ويحتاجون إلى أمر
هو أكثر أهمية من الأمر الأول؟ فيحتاجون أن لا يعارضهم الرسول في ذلك
فيحتاجون أولاً إلى الاستدلال من الرسول ثم إلى دفع معارضة الرسول لما وصلوا إليه من نتائج.
فالفلاسفة اختاروا فكرة التخييل: أي أن الرسول أتى بالتخييل فيأتي بما يتوهم الناس
حقيقة ولكنه ليس كحقيقة فهم ينكرون المعاد كما ينكره ابن سينا ويقولون إن النصوص التي
تتكلم عن هذا من القرآن: والعقاب والمعاد مجرد تخييل وتخويف أو ترغيب، ويقولون
أن الرسول له مقاصد لا يفهمها العامة إنما يفهمها الخاصة وأن العامة يفهمون ظاهر القول
ويكون له باطن لا يفهمه إلا الخاصة فالنبي لو وجه خطابه إلى الفلاسفة لفهموا، وهذه
النتائج التي وصل إليها الفلاسفة الإسلاميون أنه مجرد تخييل أي ظاهر للأدلة ولكن
الباطن يوافق الحكمة، والمتكلمون يجعلون العقل أو علم الكلام هو المصدر الأساسي في
التشريع مجرد عند الشارع، ويحاولون الاستدلال من داخل الوحي على هذه العقيدة: الاستدلال
العقلي. وأنكروا أن يعرف أن الرسول جاء بأدلة عقلية أو أنكرهم على ذلك وإنما هو مجرد
أخبار محضة وهذا خطأ فالقرآن فيه أدلة خبرية لصدق الرسالة لا مجرد أخبار النبي صلى الله
عليه وسلم بل لأنه رسول صادق لنبي صادق وكذلك في القرآن أدلة عقلية تقرب كل عاقل
وإذا اختلفت دلالة القرآن مع هذه العقيدة فهم يأولون ردا على هذه المعقولات إما بحجة الدلالة
وأما من جهة السنة فيأتون إلى الأحاديث الصحيحة الثابتة فيقولون أن هذه الأحاديث

لم يبلغ حد التواتر) ودون حصول ذلك أرادوا أن يصفوا أقوالنا كلها بأنها تورث الظن من جهة الثبوت وأقوالنا كلها تورث الظن من جهة الدلالة ؛ أما الظن من جهة الثبوت ففي تقسيم الأخبار إلى متواتر وآحاد بحسب قوة ورودها إلينا وعدد الرواة فجعلوا الخبر إلى متواتر وآحاد، والمتواتر اشترطوا شروطاً تعجيزية حتى لا يثبت الحديث، وأما العقيدة . ثم يقولون لا نقبل حديث آحاد في مسائل العقيدة ثم إنهم قسموا الدين إلى أصول وفروع وجعلوا الأصول هي العقائد والفروع فقالوا لا يمكن أن نقبل حديثاً في أصول الدين في باب العقيدة إلا أن يكون بلغ حد التواتر. ثم اشترطوا في التواتر شروطاً تعجيزية؛ بأن لا يوجد في الحديث واحد كما قال أحد علماء الحديث وهو ابن الصلاح وقال إن هذه الشروط مثل الشرط الأول لا يتوفر إلا في حديث واحد وربما يتوفر في حديث من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار. فهذا هو القانون الذي عندهم لرد النصوص من جهة الثبوت.

وأما من جهة الدلالة فعندهم قانون كلي: قانون الرازي في قانون تعارض العقل والنقل حتى لا يأتون إلى هذه النصوص التي خالفوا ما وصلوا إليه من نتائج فيستعملون فيها تقسيم الكلام إلى حقيقة ومجاز (مثلاً جاء ربك والملك صفاً صفاً) يقولون هنا فيه محذوف مقدر أمر بالحذف والتقدير جاء أمر ربك أو جاء ملك من ملائكة ربك وهكذا يطبقون على كل نص خالف ما وصلوا إليه من النتائج في باب القدر والأسماء والصفات والإيمان وفي هذه الأبواب فيقولون أن له دلالة غير ما أراد الله ولهذه الدلالة نقلناها إلى المجاز أن هناك قرينة دلت على ذلك.

PAGE ٦

DATE

ومنهم من قاله أخذ الرازي قال إذا تعارض العقل والنقل فأمامنا أمور

إما أن نقدمهما معاً أو نردهما معاً وكلا هذين لا يصح لأنه اجتماعاً للأمرين لا يمكن أن

نجمع بينهما أو نردهما مثل العلم والجهل لا يجتمعان ولا يرتفعان. وإما أن يكون

عالماً بالشيء أو جاهلاً به فلا يمكن أن يكون عالماً وجاهلاً في نفس الوقت ومثل الحياة

والموت والصلاح والعدم وغير ذلك. فقالوا لا يمكن أن نقدم النقل على العقل لأن العقل

هو مصدر معرفة النقل فلو أننا قدمنا النقل فإننا بذلك نرد العقل الذي أثبتنا أصلها

لمصدر النقل فهذا أهم كلامهم.

أما غلاة الصوفية فيجعلون مصدر المعرفة الكشف أو الذوق أو الوجد

أو الإلهام أو الإشارات يجد في نفسه معنى أو شيء معين فيقول هذا هو الحق

فإن وجدت مخالفة له من النص قالوا ليس هناك مشكلة لأن الخضر خالف شريعة

موسى وفعل أشياء أنكرها موسى وكانت في الظاهر باطلة ولكنها في الباطن

حقاً فهذه شبهتهم. فاستدلوا بذلك أن آحاد الناس أو الأولياء والصالحين يمكن

أن يقع من مثلهم هذا أو مكاشفات وفيوضات بالحواس كما استدل النصارى

قبل ذلك من الدولة الثيوقراطية في أوروبا أن القسيس أو الراهب يجوز له مخالفة

الإنجيل ويكون هو المخلص الذي يفرضون على عامة الناس أموراً ليس لهم يلتزمون

بل بعضهم على أنه يجوز لهم ذلك وبذلك السلوك ليصبح بعضهم.

من أعظم مصائب المكاشف: أن كل من ادعى استغناءه عن الرسالة بمكاشفة أو مخاطبة
أو عصمة له أو لشيخه ونحو ذلك فهو من أضل الناس. فكون الصديق والفاروق
وهما خير هذه الأمة وأفضل هذه الأمة وأعلم هذه الأمة كانوا تبعاً لرسول الله
صلى الله عليه وسلم فمن دونهم أولى بذلك وأمر لا يستغني أحد عن النبي صلى الله عليه وسلم.

ومن احتج على ذلك بقصة الخضر مع موسى، فهو غاية الجهل
فإن موسى لم يكن مبعوثاً إلى الخضر، ولا كان يجب على الخضر اتباع موسى.
وإنما كان على علم الله علمه موسى وموسى كان أيضاً على علم الله منه واستدل
لذلك أنه نزل بالسلام أرضه لأن موسى كان مبعوثاً لبني إسرائيل.

والخضر لم يعرفه موسى حتى عرفه نفسه، وأما محمد صلى الله عليه وسلم فهو رسول الله إلى جميع
الخلق فمن لم يتبعه كان كافراً ضالاً من جميع من بلغته دعوته، ومن قال له كما قال
الخضر لموسى كان كافراً، فهو لا يصلح لو كان أن الخضر كان من أتباع موسى
وخرج عن شريعته فمن ادعى اتباع النبي صلى الله عليه وسلم وخرج عن شريعته فإنه
متناقض هذا الضلال وقول من قال لم يكن الخضر تابعاً لموسى وإنما كان موسى
لبني إسرائيل والدليل على ذلك أنه أيضاً لم يعرفه موسى، والدليل الآخر أنه
موسى على علم لم يعلمه وهو على علم لم يعلمه موسى.

وأيضاً أن ما فعله الخضر لم يكن خارجاً عن شريعة موسى، ولهذا لما بين
له الأسباب التي أبيح له بها خرق السفينة وقتل الغلام وبناء الجدار بغير جعل

أخرى على ذلك ، فقد تختلف تصرفات الناس وتتعلق أحياناً بسبب العلم أو بسبب الجهل فمثلاً حين تقول أنا آذن لأصحابي أن يدخلوا بيتي ويأكلوا ويشربوا فدخل اثنان من الأصدقاء ، أحدهم يعلم هذا الإذن وأحدهم يجهله فالذي يعلم هذا الإذن دخل البيت وأكل وشرب وباشر الأموال ، والآخر الذي لم يعلم هذا الإذن فتعجب لكيف يفعل هذا هذا الشيء بالأكل والأكل ليس من ماله ولا يعلم الإذن السابق من صاحب البيت لذلك ينكر عليه ، فهذا الذي أنكر لا يعلم وهذا الذي أخذ يعلم الإذن فكذلك الأمر . الخضر عليه السلام فعل كل هذا بأسباب باطنة يعلمها هو حتى لو علمنا أنه تابع لموسى فإنه لم يخرج عن شريعته لأن الأمر أنه فعل ذلك بأسباب مشروعة صحيحة لكن لم يعلمها موسى فموسى أنكر لأن موسى لم يكن يعلم تلك الأسباب وإنما كان فعل على الأسباب وهذا هو التفسير الثاني للقصة الذي به لا يصح أن نقول بجواز الخروج عن شريعة النبي صلى الله عليه وسلم .

وأيضاً لو فرضنا أن الخضر خرج عن شريعة موسى فالخضر هذا الرجل من اثنين إما أن يكون نبياً فليس لأحد أن يتشبه به لأن الأنبياء معصومون ولكن إنما يخالف نبي نبياً كما تأتي شريعة نبي مخالفة لشريعة نبي وإن لم يكن نبياً (وهو قول الجمهور) فإنه يكون محمد أفضل منه لأنه لو لم يكن نبياً فأحسن حاله أن يكون صحابياً لموسى عليه السلام فهو يقول إذا كان النبي صلى الله عليه وسلم هو خير الأنبياء وصحابته

[illegible] الاقتداء بالصحابة [illegible] عليه السلام [illegible]

[illegible] النبي صلى الله عليه وسلم [illegible]

[illegible].

نعود إلى موضوع السؤال الأصلي: [illegible] الظلم [illegible] نفسه أو [illegible]

لغيره [illegible].

وإذا عرفنا أن التوبة ترفع [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] الإسلام [illegible]

[illegible]

[illegible]

ويتمم ذلك [illegible]: [illegible] الظلم [illegible] درجات [illegible]

كما يتقدم الشيء عليه، وكلما ظلم نفسه [illegible]

[illegible]

الواجبات. [illegible]

وأن نبحث عن صفاتهم ولا ذنوبهم وإن نبحث في الناس عن أحسن ما فيهم لنقتدي بهم . فالصحابة أنفسهم لم يكونوا كلهم على الصواب وقد يكون منهم جهلة أما الجهلة بحاله أو الجاهل هذا الحاكم يعطى الحكم الصحيح .

إذا التفتيش عن سيئات الناس ليس مقصداً شرعياً بل هو ما يذم به الإنسان ولكن عن الناس كيف نحكم عليهم إما الجهلة بالشرع أو العالم بالحكم الصحيح فنحكم على الناس بظاهر القول أو الشكل أو غير ذلك .

يريد الإمام ابن تيمية أن يقول إن باب التوبة مفتوح ومتاح ولا شك عند الله مفتوح والله سبحانه وتعالى يغفر الذنوب جميعاً فما قدر بين الناس الذين يقعون في شرك الله ويقعون في الذنوب ويجتهدون في عدم الوقوع فيها فإنه يعفو الرحمن الرحيم عنهم إن بقي مذنباً يغفر توبته كل مرة توبة واستغفاراً ويغفر ما يذنبه ثم يعوض ذلك بالحسنات فالحسنات يذهبن السيئات . ويريد أن يقول أيضاً لا تنسوا أعمال القلوب وأعمال القلوب منها ما أصل لعبادة جداً وكثير من الصالحين إذا أعطوا فعلة لنفسه تذكر هذا سيذكرني أن ربنا أكبر فإن رحمة الله من مخلوقهم ربنا خشن مخلوقه لخشيته لله أو له خشية إذا الخشية من الله العبادة من الله والخوف من الله والخشية من الله فلا تساهل لا نسيه أبداً الآن نطرق بالتقصير ، وأي نوع من هذه الأنواع إذا تدبر فعلت الصدقة في حالة كره فعلم نفسه فيه خيراً كثيراً .

لذا من الإنسان من بدأ يعبد شغف لا يلاحظه وما يجري عنها من شهوة أهواء أو الا بد
يقول فلعلك تغنى ظلاً كبيراً وسيدي أن هذا شيء طبيعي جداً لأن مشاكلة التي
أمرنا الله سبحانه وتعالى بها والعبادات التي أمرنا سواء قلبية أو مالية أو بدنية كل هذه
العبادات لا يستطيع الإنسان أن يقوم بها على التمام.

وقد ذكر البخاري عن ابن أبي مليكة قال: "أدركت ثلاثين من أصحاب محمد كلهم يخاف النفاق
على نفسه" من معلقات صحيح البخاري ليس على شرطه.

فهؤلاء كانوا يخافون على أنفسهم النفاق؟ لكن عندهم إيمان:
لكنه لا ينبغي أن يصل ذلك إلى اليأس. فلا بد أن يكون العبد متوسطاً بين الخوف
والرجاء والإفراط في الخوف يورث اليأس كما حصل لكثير من متصوفة البصرة

تفسير ابن كثير رحمه الله قول الصديق "لا أذكر مغفرة من عندك" 108
بين الإمام ابن كثير أن الكثير الذي ذكره الدعاء من رحمة عند الله كلهم مؤمنين
وكان لهم درجة فضلت المؤمنين ثم رحمة فضلت خواص المؤمنين على قدر درجاتهم
فبين أن هذا التفسير خطأ وليس صحيحاً لأن الحديث ليس فيه رحمة من عندك وإنما فيه "و
فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني" لكن فسروه أشبه هذا بقوله "وهب لي من لدنك رحمة"
فبين ابن كثير أن الاستدلال بهذا المعنى من هذا الحديث ليس صحيحاً وإن كان هذا
المعنى في نفسه صحيح فليس كل دلالة صحيحة يصح أن يستدل لها بأي دليل
فيمكن أن تكون الدلالة صحيحة لكن هذا الدليل لا يدل عليها وتكون صحيحة من أدلة أخرى

انتفاء الدليل المعين لا يستلزم انتفاء المدلول

(داكيق) عدم الدليل لا يستلزم عدم المدلول = أي إذا كان هذا الدليل

لا يصح أن نستدل به على مسألة معينة فقد يكون للمسألة أدلة أخرى.

الحكيم الترمذي يرى أن الأبدال مثل فكرة محصولة فيقول الأخرى مفقودة من كلامه

أي معنى هذه الفكرة فيرى ابن تيمية أن هذا ليس هو نص الحديث وهذا المعنى

غير الصحيح من هذا الحديث

وابن تيمية يقول إن الحكيم الترمذي الذي له كلام في التصوف والسلوك والمعرفة

ويستشهد في ذلك بآثار وأحاديث من نفسه فهو كثير ما يكون في كلامه أن

يصيب. وكذلك الحكيم الترمذي له مقالات فاسدة عليه أن يتوقف بالعلم لا يحمل أشياء كل

بما سيأتي مما يستدل به ما لا حجة عليه وذكر أصناف الخطأ منه إنما قال لا دليل عليها

أو آثار ضعيفة لا يجوز الاعتماد عليها. والحكيم الترمذي له مقالات وأخطاء من أشهر

هذه الأخطاء ادعاء فكرة ختم الولاية - كما أن الأنبياء لهم خاتم فكذلك الأولياء لهم

خاتم - فهذا كان سببا لما ادعى أنه خاتم الأولياء كابن عربي وابن حمويه

جاء الحكيم الترمذي أخطأ فقد رأى أن الخطأ فزادوا على ذلك زيادات كثيرة

حتى خرج به الأمر إلى الاتحاد - أن الله هو كل العالم - وهذا قول باطل وكفر تعالى

الله عما يقولون - ويبين الإمام ابن تيمية أن كلام الحكيم الترمذي في هذا الحديث

- حديث الأبدال - ليس من أحسن كلامه ولا هو أفضل ما يصح أدلة كلامه فيه نظر.

فهم الإمام ابن تيمية أن الحكيم الترمذي جعل المغفرة المسؤولة كمغفرة موجودة كأن لم يكن لها
سابق لأحد أن يدعو بهذا الدعاء فرد هذا المعنى بلازم خطأ. فيرد المعنى بما يلزم عليه
من اللوازم الباطلة. فيلزم من هذا القول أن هذا الدعاء مخصوص لأبي بكر والذي عليه
الراجح أن هذا الدعاء صالح لكل من سوى أبي بكر رضي الله عنه وكذلك لأبي بكر.

وبين الإمام ابن تيمية أن المغفرة من عند الله لا تنال إلا بهذا الدعاء وهذا أحد الاحتمالات
في تفسير الحكيم الترمذي فهم الإمام ابن تيمية أن المغفرة لا تنال بغير هذا الدعاء بكلمات
أخرى والدعاء أحد الأسباب. أي أن هذه المغفرة يمكن أن يكون لها أكثر من سبب.

فهم الإمام ابن تيمية أن الحكيم الترمذي فسر «مغفرة من عندك» أي مغفرة مخصوصة
أو مخصصة بأن لا تنال إلا بهذا الدعاء. فرد ابن تيمية أن هذه التفاسير خطأ ثم [illegible]

فائدة: تفسير اللفظ بما لا دليل عليه هو من جنس تفسير «القرامطة» = الذين يدعون
أن للقرآن ظاهرًا وباطنًا، والظاهر يعرفه العامة والباطن لا يعرفه إلا الخاصة.
فهو يقول إن المعنى الذي يأتي للفظ له ظاهر معروف أن الظاهر ليس مرادًا أريد
له معنى آخر لا دليل عليه هو من جنس تفسير القرامطة. فذكر ابن تيمية الصوفية مثالًا لذلك
كتاب حقائق التفسير لأبي عبد الرحمن السلمي أحد الصوفية المتأخرين.

فائدة لا يلزم إذا كان المعنى صحيحًا أن تكون الآية أو الحديث دالة عليه، ففرق بين
صحة المعنى وصحة الاستدلال من الآية أو من الدليل عليه، فيمكن أن يكون المعنى
صحيحًا لكن لا تدل عليه الآية أو الحديث.

"لا يمسه إلا المطهرون"

يريد الإمام ابن تيمية أن يستدل على أن القلوب الطاهرة تفهم القرآن وأن القلوب المستكبرة أو غير الطاهرة لا تفهم القرآن فقال قال الله تعالى "سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق" قال بعض السلف "أمنعهم فهم القرآن"

(فائدة) أحيانا تفسير اللفظ بغير المراد وبما لا يدل عليه اللفظ فهذا خطأ.

- أحيانا تفسير اللفظ بما يدل عليه أو بما يراد منه أي تفسيرا أو استنباطا أم أكثر اللفظ من مشكل دون جمعه فهذا احتمل.

يستدل ابن تيمية على خطأ تفسير الحكيم الترمذي على أن الحقيقة التي أو هو بكر الصديق معرفة تحصيله فهو أن الإنسان لا يبدأ الدعاء فيقول زكريا عليه السلام "هب لي من لدنك ذرية طيبة" إنه جميع الدعاء والذرية الطيبة ليست مخصوصة به أي ما قبله لذلك مثل كلمة من عندك جاء بمن يقول إن الله لم يخص الأنبياء بالذرية الطيبة حتى أن يكون من ولد الأنبياء ما هو فاسق وكافر وكذلك أن يكون من أولاد الأنبياء آباؤهم يكونوا كفارا أو ملحدين مخصوصين بذلك.

يقول ابن تيمية رحمه الله معنى قول الحكيم معرفة من عندك - فذكر فائدة هي من أحسن فوائد هذا الكتاب - وهو أن ما يعطيه الله لعباده من النعم والأرزاق من لدنهم والعلم إما أن يكون بسبب من العبد أي أن العبد يبذل فيه سببا أو أن يكون تفضلا من الله لا بكسبه العبد كان بذلك كما في قول الله تبارك وتعالى "كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله"

إن الله يرزق من يشاء بغير حساب. هنالك دعا زكريا ربه... فعلم أن الله يرزق من يشاء
بغير حساب وأنه لم ينس قوة استجابته وكان زكريا ليس عنده سبب للإنجاب كانت زوجته عاقر
وكان قد بلغ من الكبر عتيا لكنه تمسك بباب الرجاء ودعاه فقال "رب هب لي من لدنك ذرية طيبة
إنك سميع الدعاء" فنادته الملائكة وهنا نرى أن العبد مهما كان فاقد للأسباب
فلابد أن يتوكل على الله وأن يطلب الدعاء إلى الله. فالله سبحانه وتعالى يرزق العبد إما بسبب
قام به العبد أو تفضلاً من الله. كما قال سبحانه "ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب
من عنده أو بأيدينا" وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم لموسى عليه السلام فإن الجنة عشر أمثالها
أي أن هذا تفضلاً منه، فلكي من عنده الشكر والحمد أي ما لم يقم بسببه.

فبين الإمام ابن تيمية أن الإنسان لو عمل معصية مثلاً عليه أن يقوم بهذا الإنسان
بحسنات تمحو أثر معصيته أو يستغفر أو يتوب لكن الله قد يتوب عليه وقد يغفر له
مغفرة يتفضل بها عليه وإن لم يقم بسببها فلابد أن نقول كما قال أبو بكر قال يا رب إني ظلمت
نفسي ظلماً كثيراً ... أن تغفر لي وتفضل بمغفرة من عندك إنك أنت الغفور الرحيم
أي كما يرزق من يشاء بغير حساب.

وبين الإمام ابن تيمية أنه لو طلبنا من عند الله ما طلبنا فهو يتفضل بالعطاء ويمن بالعطاء
أفضل من تفسير الحكم الذي هو رحمة وفضل.
وبين الإمام ابن تيمية أن نقول إن الله يحب كل نعمة شاكر ويحب كل نعمة
ما شاكر، ويحب كل نعمة ما شاكر وليس لكل نعمة ما شاكر لعلها، الخاتمة يارب

وهكذا كأن الله هو عليه أن يدخل من كان موحداً الجنة كما في حديث معاذ فحق العباد
على الله أحقه الله على نفسه وليس هو إيجاب من العبد أو بسبب ذلك وإنما تفضل من الله.

فالسؤال "مغفرة من عندك" ، فالهدف هو تنبيه بالسؤال مع الطلب من الناس من الإحسان
ذو العطاءات . أي يتفضل به الناس من غير عوض منهم مسائل

وأيضاً فقوله "من عندك" يراد به أن تكون مغفرة بجودك أنت على
لا تعوض فيها أي علاقة ، ولا يحتاج إلى أحد يشفع فيها أو يستغفر لي . أي لا يحصل
شيء وسيلة مغفرة ذنبي أحداً وهذا من الإخلاص لله التوحيد وهو أن لا يزال
العبد في شأن مولاه أن لا يرجو إلا الله المغفرة أو الرحمة.

فكأن هذا المعنى صار بعضه: اللهم يا رب منك طلب مغفرة من عندك تتفضل لا على
المعاني لا تعوض فيها لأحد يشفع لي أو يستغفر لي ومن على أنت بلا لا تحمل بيني
وبينك من عبادك أحداً.

وحكم ابن حجر كلامه فالواجب علينا أن نلتمس المعاني الصحيحة ما أمكن من كلام
المتكلم حتى يأتي ما يقابله منه؟ أي لا ينبغي أن يكون اللفظ المحتمل ذا وجهين في الكلام
أو المحتمل لم يتكلم أنت في تصحيحها ولكن إذا كانت محتملة لهذا ومحتملة لهذا
فالأولى أن يحمل كلام المتكلم على أحسنه إذا كان له محمل صحيح. "ومن أعظم التقصير نسبة
الخطأ إلى المتكلم مع إمكان تصحيح كلامه" أي إذا كان المتكلم تكلم بكلام يحتمل فيه معنى باطلاً
ومعنى صحيحاً نحمله على المعنى الصحيح إلا إذا كان ما يناقض ذلك.